ثورة بولندا عام ١٨٦٣ والموقف الاوربي

أ. د. ابراهيم سعيد البيضاني

الجامعة المستنصرية

تعرضت بولندا للتقسيم ثلاث مرات ،كان التقسيم الاول عام ١٧٧٢ والتقسيم الثاني عام ١٧٩٣ بين بروسيا وروسيا ،وجرى التقسيم الثالث عام ١٧٩٥ بين بروسيا والنمسا ، لذلك كانت الحركة الوطنية البولندية والجمعيات السرية فيها تضع على رأس اهدافها توحيد البلاد واستقلالها[١]. ولاقت عمليات التقسيم هذه مقاومة من الشعب البولندي ،اذ توصف تلك المقاومة بانها صورة من صور الكفاح القومي الوطني المبكر[٢]. وبذلك فأن هذا التحدي الذي يمس السيادة البولندية والتعرض الى الخطر الاجنبي ، اديا الى رسم مسار التاريخ البولندي والمقاومة المستمرة للاحتلال الاجنبي .

ومما ساعد على تعرض بولندا للتقسيم اكثر من مرة انها كانت محاطة بدول قوية مثل بروسيا وروسيا والنمسا والدولة العثمانية .وبما ان العرش البولندي كان انتخابيا ، فأن اشتداد المنافسة والاقتتال بين الطامعين على العرش يوفر فرصة امام الدول الاوربية المحيطة بها ، وقد ساهمت الأقلية اليهودية ، في خلق هذه الاوضاع المضطربة ، اذ كان همها الرئيسي ينحصر في ما تحققه من ارباح سوى أن تكون بولندا تحت حكم نمساوي أو روسي أو عثماني[٣].وان هذه الاوضاع المضطربة تعد المناخ الملائم امام التدخل الاجنبي .

وعلى الرغم من قيام القيصر الروسي بمنح بولندا حكم ذاتي وجعل وارشو عاصمة للبلاد ، فأن ذلك لم يؤدي الى اخماد روح الثورة في نفوس البولنديين ، بل خاض البولنديين عصيان وانتفاضات متواصلة ضد المحتلين ،وبذلك فأن فهم مسار وتطور ثورة عام ١٩٦٣ في بولندا لابد ان يفهم ويدرس في اطار نضال ومواقف الشعب البولندي في مواجهة الاحتلال ، اذ ان ثورة عام ١٨٦٣ قد سبقتها ثورة في عام ١٨٣٠ وثورة اخرى في عام ١٨٤٨[٤]. ومن هنا تأتي اهمية تقديم عرض موجز لاوضاع بولندا وما تعرضت له من اوضاع وظروف معقدة في ظل الاوضاع والتطورات والعلاقات الدولية ، وثوراتها وانتفاضاتها المستمرة في مواجهة الاجنبي ، اذ ان ذلك يعطي فهما ورؤيا واضحتين في معالجة التطورات والمواقف الدولية التي رافقت ثورة عام ١٨٦٣ .

في عام ١٨٠٧ وبعد معاهدة تلست حول نابليون بولندا إلى دوقية وارشو ، وجعلها تابعة إلى حليفه منتخب سكسونيا ، لكن الجيوش الروسية اكتسحت تلك الدوقية بعد الانتصار الذي حققته على جيش نابليون في معركة ((بردينو)) سنة ١٨١٢ ومطاردتها فلول جيشه خارج الأراضي الروسية(٥)

كانت بولندا حاضرة في اذهان القادة الاوربيين في مؤتمر فينا عام ١٨١٥، وكانت المشكلة البولندية من اهم المشكلات التي تصدى لها المؤتمر ، اذ اعترف بالنفوذ الروسي عليها بما فيها دوقية وارشو زيادة على الجزء من بولندا الذي كان تابعا إلى بروسيا بعد أن تعهدت روسيا بتشكيل مملكة بولندا ، وان يكون القيصر الروسي ملكا عليها ، ويمنحها الدستور ، و الاستقلال الداخلي(٦).

وقد بر القيصر الروسي الاسكندر الأول بوعوده فمنحها الدستور وبعض الحريات وأجرى فيها انتخابات لمجلس نيابي ، لكن البولنديين كانوا يشعرون بالتفوق القومي على الروس، فلهم تاريخ مجيد ، وثقافة لاتينية ، وتقاليد عريقة في الفروسية ، ويتمسكون بالحرية ،فضلا عن ان لديهم طبقة قوية من النبلاء تطمح إلى المزيد من الحرية السياسية ، لذلك فأنهم يشعرون بالتفوق القومي على الروس ، يضاف إلى ذلك تأثير الثورة الفرنسية ومبادئها ، التي تركت أثرا على الشعب البولندي(٧) .

وبذلك فأن الدستور الذي منحهم إياه القيصر الروسي لم يغيرمن الأمر شيئا ، فبقيت نظرتهم إلى الروس بأنهم دخلاء أجانب قليلي الحضارة ،ويبدو ان هذا الامر المتعلق بالدستور ومنح الحريات لم يستمر طويلا اذ عين الاسكندر أخاه قسطنطين، حاكما على بولندا، الذي قام بحل البرلمان البولندي سنة ١٨١٩ وظل يحكم بدون برلمان مدة خمس سنوات. وفرض الرقابة على الصحف فاشتدت حركة المقاومة للوجود الروسي ، وانتشرت الجمعيات السرية ومما زاد من حدة المقاومة تدخل الاسكندر في شؤون البلاد وتجريد النبلاء عن الكثير من امتيازاتهم ، فنشطت هذه الطبقة في بث روح المقاومة للوجود الروسي في بولندا واصبح موقف الروس فيها صعبا للغاية ، وبالمقابل استمر حاكم بولندا الدوق قسطنطين بمواجهة المقاومة بمزيد من العنف وسلب الحريات(٨). وبذلك نلاحظ ان العنف والاضطهاد الذي يمارسه المحتل الروسي مع شعب يشعر بأنه شعب حر وله تقاليده وقيمه وحضارته المتفوقة على حضارة البلد المحتل، ولدت ردة فعل عنيفة رافضة للاحتلال وقد كان للنبلاء دور في قيادة المعارضة وبث روح المقاومة . ومما زاد من حدة التذمر والمقاومة للنفوذ الروسي الاجراءات التي اعتمدها نيقولا الاول الذي تولى الحكم بعد وفاة القيصر الاسكندر الاول، اذ استهدفت اجراءاته الثقافة القومية البولندية وانتهج سياسة الترويس(٩)، فازدادت حدة التذمر والمقاومة للنفوذ الروسي.

وكان لثورة ((١٨٣٠)) في فرنسا ، والتي اطاحت بحكم شارل العاشر اثر قوي على نفوس القوميين البولنديين ، فاشتدت حركة المناهضة للوجود الروسي وحركة الجمعيات السرية وخاصة في صفوف الجيش(١٠). وكان للاستعدادات العسكرية التي قام بها نيقولا الأول ، بهدف إعداد حملة عسكرية للقضاء على الثورة في فرنسا وبلجيكا اثر في قيام الثورة في وارشو في ٢٩ تشرين الثاني

سنة ١٨٣٠ فاحتل الثوار وارشو وامتدت ثورتهم الى مساحة كبيرة من بولندا ، فانسحب الدوق قسطنطين ،و أعلن الثوار انفصالهم عن الإمبراطورية الروسية وعدم اعترافهم بالقيصر نيقولا الأول ملكا على بولندا(١١) .

على الرغم من تعاطف الشعوب الاوربية مع الثورة البولندية وتوقع البولنديين حصولهم على مساعدات من الدول الاوربية ، الا ان البولنديين لم يحصلوا على هذه المساعدة ، بسبب القوة التي يتمتع بها مترنيخ مستشار النمسا وتأثيره على الكثير من حكام الأوربيين في تلك المرحلة التاريخية فضلا عن عدم استعداد تلك الدول إلى أن تخوض غمار حرب ضد روسيا من اجل البولنديين . وبسبب الموقف الاوربي وعدم تكافؤ القوة بين الطرفين الروسي والبولندي ، مكن الروس من سحق الثورة ، وعادوا الى بولندا بقوة وبحجم كبيرين مكنتهم من التنكيل بالثوار بوحشية وزجت بأعداد كبيرة منهم في السجون ونفت الآلاف إلى سيبيريا .

ان الثورة البولندية عام ١٨٣٠ التي صمدت تسعة اشهر اشرت نتائج مهمة ، منها إضعاف السلطة القيصرية وتشجيع الشعوب الأخرى للنضال من اجل التحرر والاستقلال(١٢)

وهكذا قدر لبولندا أن ترجع مرة أخرى للحكم الروسي وتفقد استقلالها وحريتها ، إذ عاد القيصر يحكم بولندا حكما مباشرا دون إعطائها تلك الحقوق التي تعهد بها في مؤتمر فينا سنة ١٨١٥ فخضعت للتعسف والاضطهاد الروسي على الرغم من الاحتجاجات التي تقدمت بها إنكلترا و فرنسا وعلى الرغم من سياسة القمع والإرهاب التي اتبعتها القوات الروسية في بولندا. إلا أن الشعب البولندي ظل يتحين الفرص للثورة على المحتلين ، وما أن وصلت أنباء الثورة النمساوية عام ١٨٤٨ حتى ثار البولنديين مجددا في نفس العام . لكن الروس قضوا على الثورة بكل وحشية(١٣).

وعلى الرغم من فشل الثورات القومية البولندية ، فقد ظل الشعب البولندي يراوده الأمل في تحقيق استقلاله القومي خصوصا بعد ظهور ((طبقة المثقفين البولنديين)) الذين تأثروا بمبادئ الثورة الفرنسية وكان لهم اثر قوي في نشر الشعور القومي في صفوف الشعب البولندي والرجوع إلى ماضيهم وما كانت تتمتع به بولندا من عزة واستقلال في القرن السادس عشر .

ومن ذلك يتبين ان النصف الاول من القرن التاسع عشر شهد هيمنة روسية مطلقة على بولندا ، وفي الوقت نفسه ظهرت حالة الرفض واضحة لدى البولنديين من الاحتلال الروسي، وخاضوا مواجهة مستمرة، وعبرت بولندا من خلال ثورتي عام ١٨٣٠وعام ١٨٤٨ عن هذا الرفض ، فضلا عن انهم نظموا انفسهم في جمعيات ومنظمات قومية بهدف مواجهة الاحتلال، وكان للاتجاه المحافظ الرافض للتغييرات الثورية الذي كان يقوده مترنيخ اثره في جعل البولنديين وجها لوجه امام الروس ، وفسح المجال امامهم لقمع الثورات البولندية .في هذه الاجواء من الرفض والمقاومة لمواجهة العنف

والاحتلال والاضطهاد انروسي ، في ظل اوضاع وتطورات دولية جديدة يمكن قراءتها ووصفها من خلال الثورة وتطوراتها .

ثورة عام ١٨٦٣ :

بعد وفاة نيقولا الأول جاء إلى الحكم أبنه (الاسكندر الثاني ١٨٥٥-١٨٨١) ، فادخل بعض الإصلاحات في مجال الإدارة والقضاء ونظام الأرض والرقيق ومنح شعبه شيء من الحرية . وقد حظيت بولندا بجزء من تلك الإصلاحات فأعاد إليها دستورها القديم وبرلمانها الخاص، لكن الإجراءات التي أدخلها الاسكندر بالنسبة للخدمة الإلزامية العسكرية وفرض الضرائب زيادة على ذلك ان الأماني القومية البولندية المتطلعة للاستقلال قد دفعت البولنديين إلى إعلان الثورة مجدداً بوجه الروس في عام ١٨٦٣(١٤).

في كانون الثاني من عام ١٨٦٣ بدأت الثورة في بولندا ضد روسيا ، واستمرت اكثر من عام ونصف العام ، اقام الثوار فيها حكومة مؤقتة ، وجرت فيها اكثر من الف ومائتا مناوشة وعملية عسكرية في عمق الغابات وقادت الحكومة المؤقتة حرب عصابات وحرب شوارع توصف بانها من اقدم انواع حرب العصابات في العالم ، اذ استخدم اسلوب الكر والفر والانسحاب الى الريف البولندي ، وقد تعرض المجتمع البولندي والقيادات التي تتولى المقاومة الى ظروف وتحديات وانتكاسات انعكست على المقاومة نفسها وعلى قياداتها، انتهت بتولي رومولد تراجيت Romual Traugutt (*) قيادة الثورة واصبح القائد السياسي والعسكري للثورة في تشرين الاول من عام ١٨٦٣(١٥).

فقد سافر رومولد تراجيت وفي تموز عام ١٨٦٣ الى وارشو وعمل تحت امرة وقيادة كارول ماجسكي Karol Majewski وقاد تحالف يضم الحركة الشيوعية والحركة الرجعية وقاد الوطنيين في الخارج واجتمع مع نابليون الثالث ، وفهم من هذا اللقاء ان الثورة ستحظى بتاييد محدود من الغرب ، وعندما عاد الى وارشو سيطر على الحكومة السرية للثورة واصبح دكتاتورا ، فضلا عن انه قام بمساعدة الجنرال جوزيف هوك Jozef Hauke باعادة تنظيم الجيش وتشكيلاته ، بهدف تشكيل جيش حديث منظم ، فضلا عن انه وحد كل التشكيلات العسكرية المقاومة تحت امرته ، وبذلك حققت الثورة البولندية الانتعاش واتسعت مساحة عملياتها العسكرية .

الموقف الدولي من الثورة البولندية ١٨٦٣ :

جاءت الثورة البولندية في ظل اوضاع ومصالح دولية متناقضة ومعقدة ، فضلا عن انها اسهمت في خلق انعكاسات هامة على صعيد العلاقات الدولية في اوربا وخلقت مواقف دولية ورسمت مسارا محددا لهذه العلاقات .اذ كان للثورة البولندية انعكاسات على العلاقات الدولية ، وكانت روسيا قلقة من هذه الانتفاضة وحاولت ان تجعل منها قضية داخلية لكي لا تنعكس على العلاقات الدولية

وتخلق اوضاعا دولية مرتبكة ، فعلى سبيل المثال ان روسيا كانت تعيش في وفاق مع فرنسا وتريد ان تحافظ عليه ، في الوقت الذي كانت فيه فرنسا هي الاخرى تخشى من اي انفجار في العلاقات الدولية وخاصة انها تشعر ان التطورات في بولندا تفرض عليها التدخل لصالح البولنديين ، مما يعني نهاية مرحلة الوفاق مع روسيا ، وكانت النمسا ترى في اندلاع الثورة في بولندا مسألة مهمة ستنعكس على العلاقات الدولية ، اذ ان التطورات الجديدة في بولندا ستضيف اليهم اعباء ومشاكل اخرى غير تلك الاضطرابات التي تعيشها وتعم امبراطوريتها ، فضلا عن ان النمسا غير مستعدة لخوض حرب مع روسيا من اجل بولندا وبالمقابل تشعر ان مشاركتها في قمع الثورة في بولندا قد يؤدي الى اساءة العلاقة مع بريطانيا وفرنسا ، لذلك كان يبدو امام هذا الامر ان الجميع كان يرى ان من المناسب هو ان يتظاهرو بأن الامر لا يعنيهم(١٦). وبذلك سادت اوضاع الحيرة والقلق من تطورات الاحداث في بولندا ، وخشيت اكثر الدول الاوربية من نتائجها التي تجر الى مزيد من التعقيدات والمشكلات الداخلية وعلى صعيد العلاقات الدولية ، لذلك لم تحظى الثورة في بولندا بأي دعم اوربي .

عندما اندلعت الثورة في بولندا عام ١٨٦٣، استعان البولنديين بنابليون الثالث طالبين المساعدة ، اذ انهم كانوا يتوقعون المساعدة ، نتيجة العلاقات والتحالف بينهما ، وانهم قاتلوا الى جانب نابليون الاول ، لذلك فأنهم يتوقعون ان تقدم لهم فرنسا المساعدة ، واذا ما اخذنا بنظر الاعتبار ان الداخل الفرنسي سواء كان المتمثل بالاحرار الفرنسيين او الكاثوليك الفرنسيين فأنهم كانوا يحثون نابليون الثالث على مساعدة البولنديين ، لذلك كان البولنديين يتوقعون المساعدة ، ولكن يبدو ان الوضع الدولي له احكامه وتأثيره على القرار الفرنسي ، اذ ان دخول نابليون الثالث الحرب ضد روسيا بجانب البولنديين سيجعل فرنسا في مواجهة كل من روسيا والنمسا ايضا بسبب امتداد البولنديين في الاجزاء الاخرى من بولندا الى هاتين الدولتين ، وبهذا يكون الموقف ليس في صالح فرنسا(١٧).

في الثامن من شباط بعث بسمارك الجنرال البروسي الفينسليين الى بطرس برغ ، اذ انه كان يقف موقفا معاديا من بولندا ويخشى ان تنتشر الثورة الى المناطق البروسية من بولندا ، فضلا عن انه يهدف انهاء الوفاق بين فرنسا وروسيا ، وقد تمكن من توقيع اتفاق بين الحكومتين الروسية والبروسية سمي (اتفاق الفينسليين) تضمن التعاون في المقاطعات الحدودية ضد من اسموهم بالعصاة، وقد يكون بسمارك فكر ان يضمن حياد روسيا في خططه المستقبلية لتحقيق الوحدة الالمانية في صراعه مع الدول التي تقف امام هذا الهدف(١٨) .

وقد ادى اتفاق الفينسليين الى تغيير في الموقف الفرنسي ، وفي الحادي والعشرين من شباط اقترح دروين وزير الخارجية الفرنسي على بريطانيا والنمسا ارسال مذكرة احتجاج مشتركة الى بروسيا ، وفي الوقت نفسه تدخلت الامبراطورة الفرنسية اوجيني في الشوؤن السياسية العالمية

وروجت لحلف مع النمسا لوضع خطة شاملة لاعادة رسم خارطة اوربا تتضمن اعطاء البندقية لايطاليا وغاليسيا لبولندا ، وتعويض النمسا في مناطق من البلقان وسيليسيا وجنوب المانيا ، على ان تأخذ فرنسا الجهة اليسرى من الراين . ويبدو ان خطط وزير الخارجية الفرنسي دروين كانت تهدف الى توجيه العداء نحو بروسيا ، لذلك فأن البريطانيين كان ينتابهم الشك من التحرك الفرنسي الذي يستهدف احتلال الراين ، ومن هنا فأن الاحتجاج بشأن بولندا يجب ان يوجه الى روسيا وليس الى بروسيا ، وقد افزعت التحركات الفرنسية المستشار البروسي بسمارك الذي كان لا يرغب بأن يعرض بلاده الى هجوم من قبل فرنسا ، لذلك حاول التملص من الاتفاق مع روسيا ، وحاول ان يطلب منها التعهد بالدفاع عن بروسيا في حالة تعرضها الى هجوم فرنسي ، وهددها بالانسحاب من الاتفاق ، وبذلك اعلنت بروسيا انتهاء الميثاق بحجة ابتعاد حدودها عن مكان الاضطراب(١٩).

وبفضل استنفار الرأي العام الاوربي في فرنسا والنمسا وبريطانيا ، واستياءه من الجور الذي اصاب البولنديين وهم يرضخون تحت نير اجنبي جائر غاشم ، فقد تقدمت في السابع عشر من نيسان كل من بريطانيا وفرنسا والنمسا بمذكرة احتجاج مشتركة الى روسيا على ما يجري في بولندا ،دعو فيها الى منح عفو عام واستقلال داخلي لبولندا ، وفي الوقت الذي كانت تتعرض فيه روسيا الى استنكار ورفض في اوربا ، وقفت بروسيا الى جانبها ورفضت هذه الدعوة ، بل انها وقعت اتفاقية تحالف مع روسيا، وبهذا ضمن بسمارك جبهته الشرقية في حالة خوضه الحرب على النمسا او على فرنسا ، وان هذا التحالف الروسي البروسي يجعل من المستحيل ان تحقق بولندا حريتها(٢٠).

وحاولت روسيا ان ترضي فرنسا وابدت عدم معارضتها على عقد مؤتمر اوربي لمناقشة الازمة البولندية ، وفي السابع عشر من حزيران تقدمت الدول الثلاث بمذكرة احتجاج ثانية وطلبت منح هدنة في بولندا وانشاء دولة بولندية مستقلة ، الا ان هذه المقترحات رفضت من قبل روسيا ، ولوحت فرنسا القيام بانزال في البلطيق بمساعدة السويد ، ولكن فرنسا كانت تدرك ان عمل كهذا لا يتم دون مساندة بريطانيا ، لذلك غضت النظر عنه ، وتقدمت بمذكرة احتجاج ثالثة في اب نددت فيها بسياسة روسيا ، التي تجاهلت الدول الثلاث ، وهددت بانها ستكون حرة في ان تتخذ الاجراءات التي تراها مناسبة لمصالحها ، وبهذا يكون اعلان عن نهاية الوفاق الفرنسي الروسي(٢١).

في خريف عام ١٨٦٣ وفي الوقت الذي انقطعت فيها المساعدة الدولية عن الثوار البولنديين، وبدات روسيا تحكم بولندا بالقوة العسكرية ، تقدمت فرنسا في تشرين الثاني بفكرة عقد مؤتمر اوربي لتعديل خريطة اوربا ومناقشة المسائل المتنازع عليها ، واعادة النظر في اتفاقيات عام ١٨١٥ ، وقد رد القادة الاوربيون بامتعاض على هذا المقترح ، وتقدمت بريطانيا الدول الاوربية لشجب المؤتمر ورفضه، اذ كانت بريطانيا ترى ان مناقشة كل المسائل العالقة ستزيد من حدة التوتر ، وهي تهتم بالدرجة الاولى بالاستقرار في منطقة الشرق الادنى ، ويعد الفشل الذي لاقاه مقترح نابليون

الثالث بعقد مؤتمر دولي مؤشرا على رسم شكل جديد للعلاقة بين فرنسا وبريطانيا ، وانتهاء مرحلة من التحالف بينهما ، فضلا عن انه اشر فشل فرنسا في تعديل الخارطة الاوربية بشكل سلمي(٢٢). وفي الوقت الذي اشرنا فيه ان الثورة البولندية انها قد انعكست على العلاقات الفرنسية الروسية وانتهاء الوفاق بينهما ، فانها ايضا اثارت الشقاق والخلاف بين فرنسا وبريطانيا .

ان الثورة البولندية عام ١٨٦٣ لم تلق بضلالها على العلاقات الدولية في اوربا فقط ، بل امتدت الى الولايات المتحدة التي كانت تعيش الحرب الاهلية ، ففي أيلول عام ١٨٦٣ ظَهرَ في ميناءِ نيويورك سرب رَوسي بقيادة العميد البحري ليسوفسكاي S.S.Lisovsky إلى السَاحلِ الشَرقي من الولايات المتحدة ، تَضمَنَ السَربُ عدد من الفرقاطاتَ والسفن الحربية. وفي تشرين الأول ١٨٦٣ وَصلَ الى سان فرانسيسكو سرب رَوسي اخر بقيادة العميد البحري بوبوف A.A.Popov .زيارات الأسرابِ الرَوسيةِ هذه قَدْ رُبِطتْ بالتَمرّدِ في بولندا عام ١٨٦٣ ، استغلّت بريطانياو فرنسا وقوى أوروبية أخرى هذا الامر لكي تقوم بخطوات دبلوماسية وعسكرية حادّة ضد روسيا. ً قادة الأسرابِ الرَوسيةِ قَدْ أُمرتْ بشكل سري أَنْ تَبْدأَ ً عملياتها للاحاطة بالقوى الأوروبيةِ التي تقف منها موقف عدائي .ليس مفاجئا ان تختار الولايات المتحدة ً كقاعدةٍ لحركة القوة البحريةِ الرَوسيةِ. فقد كانتْ روسيا القوةَ الكبرى الوحيدةَ التي دعمتَ بشكل نشيط الحكومةَ الإتحاديةَ للرئيسِ إبراهام لينكولن خلال الحرب الأهلية ٦١-١٨٦٥ في الولايات المتحدة وكان هناك عِلاقاتُ وديةُ بين الدَولتين(٢٣).

الزَعماء والجمهور في الولايات المتحدة رَحّبوا بحماس بالبحارين الرَوس،وان الاشاعات قد سرت بان روسيا والولايات المتحدة قَدْ توصلت الىْ إتحاد عسكري سري. وقد وصفت العلاقات بين روسيا والولايات المتحدة بانها من نوع التحالف نتيجة الاهتمامات والمصالح والرؤى المشتركة بين البلدين .الأسراب الرَوسية امضت تسعة شهور في الولايات المتحدة ، في فترة كانت الاوضاع متوترة في اثناء الحرب الأهليةِ. زيارات الأسرابِ الرَوسيةِ إلى الولايات المتحدة الأمريكية دَلّتْ على ان روسيا قدمت مساعدة نفسية وعسكرية و أخلاقية مهمة إلى الحكومةِ الإتحاديةِ(٢٤) .

سياسيون الولايات المتحدة وزعماء الجيش فيها قَدّروا الأهميةَ الكبيرة لزيارةِ الأسرابِ الرَوسيةِ. البحارون الرَوس قَدْ رُحّب بهم كأصدقاءِ حقيقيين وحلفاءِ. وبتوجيه مباشر من الرئيس الامريكي لينكولن ، لم تخفى اي اسرار عسكرية عن الوفد الروسي البحري، فقد زار الوفد الروسي التحصيناتَ في الموانئَ وزاروا الجيش في الخدمة الفعلية. في صيف عام ١٨٦٤ انتهت الازمةَ في بولندا ، وقلت التَوترات في أوروبا ، وفي ١٩حزيران عام ١٨٦٤ ودع الامريكان الأسرابَ الرَوسيةَ بالدَفءِ العظيمِ .اذ ان زيارةِ السربين الروسيين إلى الولايات المتحدة لَعبتْ دور مهم في تَقويةِ العِلاقاتِ الأمريكيةِ الروسية(٢٥). وبذلك تمكنت روسيا ان تشغل الاوربيين بعيدا عن اوربا وبعيدا عن

الاهتمام ببولندا من خلال تقديم الدعم الى الولايات المتحدة التي كانت تعيش ازمة الحرب الاهلية وقد تمكنت من خلال زيارات اسرابها البحرية من ان تعزز علاقاتها مع الولايات المتحدة .

و مع غياب المساندة من الخارج بدأ التَمرد يتلاشى والضربة النّهائية جاءت بإعتاق الفلاحين، وهو القانون الذي اصدره القيصر الروسي عام ١٨٦٤ واوقف تراوجوت في الخامس من اب/ اغسطس عام ١٨٦٤ وحكم عليه بالاعدام ونفذ الحكم ليلة ١٠/١١ آب/أغسطس عام ١٨٦٤[٢٦].

تعد ثورة عام ١٨٦٣ في بولندا نقطة تحول مهمة في التاريخ البولندي ، فقد دفعت القيصر الى الغاء العبودية وتطبيق قانون الاصلاح الزراعي عام ١٨٦٤ وامتلك الفلاح الارض التي يزرعها ، مما ادى الى تغيير جوهري في بنية المجتمع بحصول الفلاحين على حريتهم ، ثم ان مسار النضال البولندي بعد عام ١٨٦٤ اخذ اتجاها وطنيا سياسيا ، اذ اصبح هناك رفض عالمي لفكرة الحصول على الاستقلال من خلال الثورة . فضلا عن ذلك فقد تمخض عن فشل الثورة تغيير اسم مملكة بولندا الى ولاية فيستولا Vistula Province[٢٧] .

لم يكن الثوار البولنديين مهيئين لملاقاة الجيش الروسي النظامي ، لا من حيث التدريب او التسليح ، ينضاف الى ذلك انهم لم يحصلوا على المساعدة من الاوربيين ، اذ اكتفت الشعوب الاوربية بالتعاطف والتأييد ، وبذلك تمكنت روسيا من انهاء الثورة بالقوة[٢٨].

وترجع أسباب فشل الثورة الى قوة روسيا وقدراتها الكبيرة امام امكانيات الثوار العسكرية فضلا عن ان الدول الأوربية لم تقدم المساعدة للثوار واختلاف فصائل المقاومة وفرقة كلمتهم وقد تكون الخيانة من الأسباب التي ساعدت في فشل الثورة[٢٩].

من ذلك نقول ان الثورة البولندية عام ١٨٦٣ التي جاءت ضمن سياق النضال الوطني الرافض للاحتلال والمتطلع الى بناء دولة مستقلة وهو جهد وطني لمواجهة التحديات والتنافسات الدولية ، قد احدث اثر في مسار العلاقات الدولية ، ودفع بروسيا الى استثمارها من خلال تأييد روسيا لضمان حيادها في المستقبل اذا ما خاضت بروسيا صراعا مع النمسا او فرنسا في مرحلة بناء وتحقيق الوحدة الالمانية ، فضلا عن ان الثورة ادت الى وضع نهاية للوفاق الفرنسي الروسي الذي كان قائما وانعكست ايضا على العلاقات الفرنسية البريطانية ، وانها خلقت حالة من الخوف والقلق لدى الدول الاوربية ، اذ ان هذه الدولة لم تكن راغبة او مهيئة لخوض من اجل بولندا على الرغم من تعاطف الرأي العام الاوربي مع الثوار البولنديين ، الا ان الثورة لم تحظى بتأييد من حكومات هذه الدول ، مما جعلها ضعيفة امام روسيا التي تمكنت من اخمادها .

الهوامش :

(١) نور الدين حاطوم ، تأريخ الحركات القومية ، ج١ ، بيروت ١٩٦٧ ، ص٥٤ .

(٢) هـ.آ.ل فيشر ، تاريخ أوربا في العصر الحديث ، ط٣ ، ترجمة احمد نجيب ووديع الضبع . دار المعارف ، مصر ١٩٧٢ ، ص٢٥٩ .

(٣) محمد محمد صالح و آخرون ، تاريخ أوربا في القرن التاسع عشر ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨٥ ، ص١٨٩ .

(٤) سليمان نوار ، التأريخ المعاصر في تأريخ أوربا ١٧٨١ – ١٩٣٠ ، بيروت ١٩٧٣ ، ص٧٣ ؛ محمد محمد صالح ، تأريخ أوربا في القرن التاسع عشر ، بغداد ١٩٦٨ ، ص١٩٢ .

(5) C.J.Hayes , Apolitical and Cultural History of modren Eyrope . Vol . ll . Newyerk , 1939 . p . 56

(٦) خليل علي مراد وآخرون، دراسات في التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر ، دار الكتب للطباعة، الموصل ١٩٨٨ ، ص١٧٩ .

(٧) جرانت وتمبرلي ، اوربا في القرنيين التاسع عشر والعشرين ، ج٢ ، ترجمة محمد علي ابودرة ولويس اسكندر ، القاهرة ١٩٦٧ .

(٨) محمد محمد صالح وآخرون ، المصدر السابق ، ص١٩٠ .

(9) Nevakivi, Jukka , Britain , France and the Atab , London , 1969

(١٠) جرانت ، تمبرلي ، المصدر السابق ، ج٤ ،ص٣٣ .

(11) Collins . Irene ; The Age of progrees , Asurvey of Europenn history between 1789- 1870 , London 1970, P. 133 .

(١٢) محمد محمد صالح وآخرون ، المصدر السابق ،ص١٩١ .

(١٣) محمد محمد صالح و آخرون ، المصدر نفسه ، ص١٩٢ .

(١٤) جرانت ،ج٤ ، المصدر السابق ، ص ٧ .

(*) ولد سنة ١٨٢٥ وتوفي سنة ١٨٦٤ ، كان عقيدا في الجيش الروسي وخدم في الجيش الهنكاري ، وفي مايس من عام ١٨٦٣ استلم قيادة جيش المغاوير الذي كان يقاتل في غابة دزاد كوايك قرب كوبريان ، وفي تموز من العام نفسه ذهب الى وارشو وعمل هناك تحت قيادة كارول ماجسكي.

(15) IN THE AFTERMATH OF THE PARTITIONS, Napoleonic Poland; The Duchy of Warsaw

(١٦) تايلر ، الصراع على السيادة في اوربا ، ترجمة كاظم هاشم نعمة ، يونيل يوسف عزيز ، بغداد ١٩٨٠ ، ص/ ١٧١.

(١٧) كارتون هيز ، التاريخ الاوربي الحديث ١٧٨٩-١٩١٤،ترجمة فاضل حسين ، بغداد ١٩٨٧ ، ص/١٧٣.

(١٨) تايلر ، المصدر السابق ،ص/١٧٤.

(١٩) تايلر ، المصدر السابق ، ص/١٧٤.

(٢٠) هـ.آ.ل فيشر ، تاريخ أوربا في العصر الحديث ، ط٣ ، ترجمة احمد نجيب ووديع الضبع . دار المعارف ، مصر ١٩٧٢ ، ص٢٥٩ .

(٢١) تايلر ، المصدر السابق ، ص/١٧٦.

(٢٢) تايلر ، المصدر السابق ، ص/١٨٠.

(23) Russian Squadrons in the USA, 1863-64 ,

(24) Ibid.

(25) R.F.Ivanov , Op. Cit.

(26) IN THE AFTERMATH OF THE PARTITIONS, Napoleonic Poland; The Duchy of Warsaw

(27) Ibid.

(٢٨) تايلر ، المصدر السابق، ص١٤٩ .

(٢٩) هـ .ل. أ. تايلور ، الصراع على السيادة في أوربا ١٨٤٨-١٩١٨، ترجمة كاظم هاشم نعمة وبوئيل يوسف نعمة ، مطبعة جامعة الموصل ، الموصل ١٩٨٠ ، ص ١٧١ .